والدعارة . ان الروح الانسانية في اعمال دستويفسكي وشوقه العظيم الى السعادة الانسانية السامية الأصيلة والى « عصر الانسانية الذهبي » الذي لابد من الوصول اليه برغم جميع العقبات ، يزيدان شدة الجانب النقدي في ابداعه ويبعثان فيه اشراقة السعي الى الحقيقة والانسجام والحب في العلاقات بين الناس .

لقد حدد دستويفسكي نفسه الفكرة الأساسية التي سادت في الفن التقدمي في القرن الماضي فقال : « ان الفكرة الأساسية في فن القرن التاسع عشر كله (التي عبر عنها هيجو بوضوح) في « احدب نوتردام » و « البؤساء » — هي بعث الانسان الهالك المسحوق تحت وطأة اضطهاد الظروف الظالم وجمود القرون والأوهام الاجتماعية ... وتبرئة المهانين المنبوذين من الجميع في المجتمع » . . وخدمات دستويفسكي في سبيل هذه « الفكرة الأساسية » واضحة لكل ذي عينين من خلال رواياته « المساكين » و « مذلون مهانون » و « الجريمة والعقاب » وهي خدمات ضخمة خالدة حقا .

أما أفكار دستويفسكي الرجعية فقد انعكست في رفضه افكار تغيير المجتمع المعاصر له وفي النضال ضد الحركة الثورية . وهذا مابدا واضحا صريحا في روايته « الابالسة » وفي مثله المختلق « دولة الكنيسة » ، وفي تمجيده لآلام النفس البشرية .

وهكذا تبين تجربة التطور الأدبي ان ماهو عظيم حقا في الأدب يتحدد قبل كل شيء بقرب الكاتب من حياة الشعب وتفهمه لحاجاته وآماله ، وأن كل انحراف عن ذلك يؤثر في ابداع الكاتب تأثيرا سلبيا حتما .

وقد جاءت مؤلفات تشيخوف ، الى جانب مؤلفات تولستوي ودستويفسكي مواصلة لأفضل تقاليد الواقعية النقدية . اذ أن تشيخوف فضح في اعماله اسس الحياة في روسيا القيصرية على الرغم من أنه لم يعرف « بطل الحياة » ولم يفهم دور البروليتاريا الثائرة . وبين تشيخوف عشية ثورة عام ١٩٠٥ بخواء القوى الاجتماعية الهرمة المتمثلة بالاقطاعية المعزولة والبرجوازية المتوحشة . ، والمثقفين العاجزين عن العمل . ان جميع هؤلاء لايستطيعون ، في رأي كاتب « بستان الكرز » ، الاسهام في بناء الحياة .

لقد رفع تشيخوف التصوير الواقعي الى مستوى جديد من خلال ابرازه خواء البناء الاجتماعي في روسيا القديمة بجميع مظاهره واجزائه . واشرقت مؤلفاته الأخيرة بروح ترقب العاصفة المقبلة التي ستمحو الحياة القديمة وتطهر المكان لبناء الحياة الجديدة . ولكنه لم يصل الى